الحركة الصهيونية

الصهيونية اعتبرت من الحركات القومية تختلف عن الحركات الأخرى بأنها فقدت أهم عناصر القومية الأرض واللغة أنها قضية معقدة لأنها أكبر من مجرد مشروع لاستيطان اليهود في فلسطين

الصهيونية ظاهرة معقدة التركيب ولايفهمها جيدا إلا نسبة ضئيلة جدا من نقادها ونسبة أقل من مؤيديها اليهودي ينظر لها على أنها ظاهرة دائمة البحث من أجل ربط الصهيونية بالتاريخ

أولاً: تعريف الصيهونية

كلمة صهيون كما فسرها اليهود بمعان ثلاثة:

1- مدينة الملك الأعظم.

2- اسم حصة سماه نبي الله داود.

3- اسم جبل يقع في شرق القدس.

الصهيونيــة : إشكالية التعريف

كلمة «صهيونية» يصعب تعريفها بشكل مباشر للأسباب التالية :

1. التعريفات الشائعة في المعاجم الغربية تشير إلى "الأمل الصهيوني" وليس إلى الظاهرة الصهيونية، فتُعرَّف الصهيونية، على سبيل المثال بأنها "الحركة الرامية إلى عودة اليهود إلى وطن أجدادهم حسبما جاء في الوعد الإلهي والآمال لليهود".

2. تختلط التعريفات بأعذار والمنظورات المختلفة بحيث لا تمكن التفرقة بين الواحد والآخر، فالصهيونية قد تكون من منظور البعض هي تحقيق الآمال ولكنها من منظور البعض الآخر مخطط استعماري استيطاني.

3. يشير المصطلح إلى نزعات وحركات ومنظمات سياسية غير متجانسة، بل متناقضة أحياناً، في أهدافها ومصالحها ورؤيتها للتاريخ، أو في أصولها الإثنية أو الدينية أو الطبقية .

الصهيونيــة : تاريــخ المفهـوم والمصطـلح

لم يكن مصطلح «الصهيونية» إلا في القرن التاسع عشر،

1. الصهيونية بالمعنى الديني: تشير كلمة صهيون في التراث الديني اليهودي إلى جبل صهيون والقدس، بل إلى الأرض المقدَّسة ككل، كما تُستخدَم الكلمة للإشارة إلى اليهود كجماعة دينية. والواقع أن العودة إلى صهيون فكرة محورية في النسق الديني اليهودي، إذ أن أتباع هذه العقيدة يؤمنون بأن المخلِّص سيأتي في آخر الأيام ليقود شعبه إلى صهيون (الأرض،العاصمة) ويحكم العالم فيسود العدل والرخاء. ولكلمة صهيون إيحاءات شعرية دينية في الوجدان الديني اليهودي، فقد جاء في المزمور رقم 137/1 على لسان جماعة إسرائيل بعد تهجيرهم إلى بابل: "جلسنا على ضفاف أنهار بابل وذرفنا الدمع حينما تذكرنا صهيون". وقد وردت إشارات شتى في الكتاب المقدَّس إلى هذا الارتباط بصهيون الذي يُطلَق عليه عادةً «حب صهيون»، تُحرِّم محاولة العودة الجماعية الفعلية إلى فلسطين وتعتبرها تجديفاً وهرطقة فاليهودية تؤمن بأن العودة إلى أرض الميعاد ستتم في الوقت الذي يحدده الرب وبطريقته، وأنها ليست فعلاً بشرياً يتم على يد البشر. وهذه النزعة الصهيونية الدينية

يُطلَق اصطلاح «الصهيونية المسيحية » أيضاً على نظرة محددة لليهود ظهرت في أوربا (ابتداءً من أواخر القرن السادس عشر) وترى أن اليهود ليسوا جزءاً عضوياً من التشكيل الحضاري الغربي، وإنما تنظر إليهم باعتبارهم شعباً عضوياً مختاراً وطنه المقدَّس في فلسطين ولذا يجب أن يُهجَّر إليه.

تمت بلورة المفاهيم الصهيونية وملامح المشروع الصهيوني بشكل كامل في الفترة بين منتصف القرن التاسع عشر وعام 1880م على يد المفكرين الصهاينة غير اليهود **أوليفانت**. وقد لخص التعريف الغربي لمفهوم الصهيونية في عبارة أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض (في كلمات تقترب كثيراً من الشعار الصهيوني. وقد حاول أوليفانت أن يضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ .

كتبه ناحوم سوكولوف الذي تولى رئاسة المنظمة الصهيونية بعض الوقت مكوَّن من جزأين

كرِّس معظمها لتاريخ الصهيونية بين غير اليهود .ونحن نذهب إلى أنه يوجد في الواقع صهيونيتان لا صهيونية واحدة (صهيونية توطينية وصهيونية استيطانية) ومع هذا فإنهما يُشار إليهما بدالٍّ واحد وذلك برغم أنهما ظاهرتان مختلفتان تماماً، لهما جذور مختلفة وقيادات وأهداف مختلفة .

تتسم التعريفات الشائعة في المعاجم الغربية للصهيونية بضعف مقدرتها التفسيرية. فإن كانت الصهيونية هي حركة القومية اليهودية وعودة اليهود لأرض الأجداد (كما تقول بعض المعاجم)،

فكيف نُفسِّر أن أغلبية هذا الشعب اليهودي الساحقة لا تزال تعيش في «المنفى» متمسكة به، تدافع عن حقوقها فيه؟

ولذا لابد من طرح تعريفات جديدة أكثر تركيبية وشمولاً وتفسيرية تتجاوز كل الاعتذاريات والديباجات لنصل إلى بعض الثوابت الكامنة. ونطرح تعريفاً جديداً، له مقدرة تفسيرية أعلى. إذ أن ثمة صيغة صهيونية أساسية شاملة تُشكل التعريف الحقيقي للصهيونية، وثمة عقد صامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية، كامن في هذه الصيغة، وثمة مادة بشرية مُستهدَفة (أعضاء الجماعات اليهودية خارج فلسطين والعرب الذين يعيشون فيها) .

اليهود في العالم القديم:

تعمد بعض القوى السياسية إلى الخلط بين اليهودية والصهيونية، أبرهام ليون (1918 . 1944) وكان ليون قد انطلق في دراسته المستفيضة عن تاريخ اليهود محاولاً إثبات أن استمرارية تواجد الثقافة اليهودية والترابط الاجتماعي بين اليهود عبر العصور ليست لها أية أسباب دينية أو خصوصية عرقية، بل لها صلة وثيقة بالدور الاقتصادي الذي لعبه اليهود في العالم القديم وفي عصر الإقطاع. وقد نجح ليون في التوصل إلى نتائج هامة في دراسته، إذ خلص إلى أن الطبيعة المادية للأراضي التي سيطر عليها اليهود قديماً في فلسطين هي التي دفعتهم إلى العمل بالتجارة بدلاً من الزراعة. فالأراضي التي استوطنها اليهود كانت ذا طبيعة قاحلة وغير خصبة. وساهم وقوع فلسطين تحت سيطرة الإمبراطورية

الرومانية إلى تعزيز دور اليهود التجاري، إذ حَرَمت قوانين الاقتصاد العبودي الروماني قطاعات واسعة من المجتمع الروماني من ممارسة مهنة التجارة.

اليهود وعصر الإقطاع:

ولعبوا دوراً حيوياً في المعاملات المصرفية كإقراض النقود والربا. وتسابق الملوك والأمراء الأوروبيين لاستضافتهم في ممالكهم وإماراتهم من أجل تنشيط اقتصادهم ولتمويل الحروب التي كانوا يخوضونها. بل واتجهت أيضاً جماهير المسيحيين الفقراء للاستدانة من اليهود لدفع الضرائب الباهظة

الرأسمالية ومعاداة السامية (معادات اليهود)

مع انتهاء عصر الإقطاع وبدايات انتشار الرأسمالية في أوروبا، بدأت تظهر لأول مرة طبقة جديدة من التجار المسيحيين الذين رأوا في اليهود منافسين يجب الإطاحة بهم. وحينئذ بدأت حملات "معاداة السامية" في التصاعد في المجتمعات الأوروبية. ولكن مع تطور الرأسمالية وقيام الثورة الصناعية، تفتت المجتمع اليهودي في أوروبا الغربية، وفقد وحدته، وتفرق أعضاؤه ما بين الطبقات المختلفة

لم يرحب أحد في الغرب بهذا الجيش هائل الحجم من اللاجئين. رأت الطبقات الحاكمة فيهم "فائضاً بشرياً" يمثل عبئاً على اقتصادها.

الإمبريالية والصهيونية:

لم تتفق الحركة الصهيونية على اختيار القوة الإمبريالية التي ستلجأ لها، أو حتى موقع الدولة الاستيطانية الجديدة. فقد نشأت فصائل وأجنحة متنازعة بداخل الحركة؛ نادى بعضها ببريطانيا كقوة حامية للمشروع الصهيوني، في حين فضل البعض الآخر ألمانيا، أو فرنسا، أو حتى الإمبراطورية العثمانية. نفس الشيء بالنسبة لموقع الوطن القومي، فقد طالب فصيل بفلسطين، في حين نادى آخرون بإقامة الوطن القومي في أوغندا، ورأت بعض الفصائل الأخرى ليبيا والعراق والكونغو كبدائل مناسبة أيضاً. ولكن الذي حسم الخلاف حول دولة الحماية وموقع الوطن القومي هو توازنات القوى الإمبريالية بعد الحرب العالمية الأولى. فقد

انتصر التيار الذي تزعمه حاييم وايزمان . رئيس المنظمة الصهيونية العالمية آنذاك . المنادي بالاستعانة ببريطانيا إثر خروجها بعد الحرب العالمية الأولى كأقوى دولة إمبريالية في العالم. وكانت بريطانيا قد بدأت تتحمس للمشروع الصهيوني في فلسطين منذ أواخر القرن التاسع عشر، ووجدته ملائماً لمصالحها الاستعمارية في الشرق. فوجود دولة يهودية عميلة في الشرق الأوسط أصبح ذا ضرورة قصوى لحماية مصالحها في تلك المنطقة تأمين قناة السويس بالإضافة إلى أن وجود اليهود "الأوروبيين" في تلك المنطقة سيفتح سوقاً جديداً واسعاً للمنتجات الأوروبية.

ولم يحسم الأمر سوى ذلك الرعب الشديد الذي شعرت به الطبقة الحاكمة البريطانية، وباقي الطبقات الحاكمة الأوروبية تجاه التحولات الثورية التي كانت تحدث في روسيا في عام 1917. فقد أوضحت جلياً شرارة الثورة الأولى في شهر فيفري إمكانية تطور مجريات الأحداث إلى ثورة اشتراكية تهز دعائم الحكم في أوروبا والعالم. وبالتالي أصبح دعم الحركة الصهيونية ضرورة ملحة لسببين:

أولاً: الصهيونية بطابعها الرجعي والمضاد للثورة قد تكون قوة مساعدة على احتواء العمال اليهود الأوروبيين الذين انخرط مئات الآلاف منهم في صفوف مختلف الحركات الاشتراكية الثورية.

ثانياً: أصبح ضرورياً إنشاء دولة تلعب دور "قاعدة للإمبريالية" في الشرق الأوسط لاحتواء توابع المد الثوري ومنع انتشاره في تلك المنطقة. وليس مستغرباً إذاً أن يصدر "وعد بلفور" المؤيد لإنشاء وطن قومي لليهود بفلسطين في 2 نوفمبر 1917

لقد كان إصدار وعد بلفور نتيجة لحسابات ومصالح إمبريالية للإمبراطورية البريطانية، وليس نتيجة لسيطرة اليهود على الاقتصاد أو الإعلام البريطاني آنذاك.

ففي وقت صدور وعد بلفور، كان المشروع الصهيوني في تناقض مع مصالح الإمبريالية الألمانية المرتبطة بتحالفات مع الدولة العثمانية . التي كانت فلسطين إحدى ولاياتها. وبالتالي لم يكن من الممكن للألمان بالرغم من "السيطرة اليهودية" المزعومة

إصدار وعد للصهاينة بإعطائهم فلسطين لأن هذا كان سيكون على حساب تحالفاتهم مع العثمانيين.

تأييد جماهير اليهود للصهيونية؟!

من الأمور المثيرة للسخرية أنه منذ نشأة الحركة الصهيونية وحتى الحرب العالمية الثانية تمتعت الحركة الصهيونية بتأييد ضئيل للغاية بين الجماهير اليهودية، إلى الحد الذي دفع وايزمان للاعتراف بأن *وعد بلفور كان مبنياً على الهواء، ورُوِيَ أنه عام 1927 كان يرتعد خشية أن تسأله الحكومة البريطانية عن مدى تأييد اليهود للحركة الصهيونية، فهي كانت تعلم أن "اليهود ضدنا... كنا وحدنا نقف على جزيرة صغيرة، مجموعة صغيرة من اليهود لهم ماض أجنبي.*

فضلت الغالبية العظمى من يهود العالم البقاء في أوطانهم وعدم الهجرة إلى فلسطين. وتحت ضغوط المذابح والقهر كانت أقلية منهم هي التي تهاجر إلى فلسطين، في حين كانت الأكثرية الكاسحة تفضل الهجرة إلى أمريكا الشمالية.

الهجرات اليهودية الأولى لفلسطين:

بدأت الهجرة اليهودية إلى فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر على نطاق ضيق. وقد اكتشف المستوطنون الرواد فور وصولهم كذب الشعار الصهيوني الزاعم بأن فلسطين "أرض بلا شعب"، إذ وجدوا هناك شعباً يفلح الأرض ويعمرها مثلما كان جدوده يفعلون عبر آلاف السنين الماضية. بل ووجدوا فلسطين من أكثر مناطق البحر المتوسط تكدساً بالسكان. ففي عام 1914 كانت الكثافة السكانية بفلسطين 20,29 شخص في الميل المربع، في حين كانت الكثافة في سوريا ولبنان 8,53 وتركيا 10,67

تزايد معدل الهجرة بعد وعد بلفور، فوصل عدد المهاجرين في الفترة (1919 . 1923) إلى حوالي 34 ألف مهاجر، ووصل حوالي 34 ألف مهاجر آخرين في عام 1925. وبحلول عام 1927 وصل حجم التواجد اليهودي بفلسطين إلى 150 ألف شخص مثلوا 16% من تعداد السكان في فلسطين الذي بلغ حوالي مليون نسمة آنذاك.

بدأ المستوطنون الصهاينة حملة واسعة لشراء الأراضي من ملاك الأراضي العرب الغائبين، بالإضافة لاستخدام أساليب ملتوية لانتزاع الأراضي من الفلاحين الفلسطينيين مستخدمين سلطات الانتداب البريطاني والإرهاب المسلح.

الصهيونية والطبقة العاملة اليهودية في فلسطين:

اتجهت الحركة الصهيونية منذ البداية لإقامة مجتمع يهودي منفصل تماماً عن المجتمع العربي بفلسطين في كل الجوانب وبالذات الجانب الاقتصادي. حرص الصهاينة على أن يتم استبعاد العرب كليةً من الأنشطة الاقتصادية، ولهذا الغرض تأسس "الهستدروت" . الاتحاد العام للعمال اليهود في أرض إسرائيل. الذي لم يكن نقابة عمالية بقدر كونه المؤسسة الصهيونية القيادية والعمود الفقري للاقتصاد الاستيطاني.

النازية وانتعاش الصهيونية:

لقد كانت الحرب العالمية الثانية نقطة تحول في تاريخ الحركة الصهيونية ودفعة هائلة لها. فبعد كشف النقاب عن فظائع النازية التي تضمنت إحراق الملايين من اليهود في أفران الغاز، تلقت الحركة الصهيونية تأييداً جارفاً من يهود العالم الذين شعروا بصحة الطرح الصهيوني حول استحالة التوافق بين اليهود وغير اليهود. ولكن لم يأخذ هذا التأييد في معظم الأحوال شكل الهجرة إلى فلسطين . كما كان الصهاينة يحلمون، إذ أخذ بالأساس شكل التأييد المادي أو المعنوي.

الاشتراكية والنضال ضد معاداة السامية:

حاولت الحركة الصهيونية على مدار تاريخها طمس الدور الفعال الذي لعبه اليهود في الحركة الاشتراكية في سعيها لتقديم نفسها كالتيار السياسي الوحيد القادر على تحرير اليهود. منذ نشأتها أولت الحركة الاشتراكية اهتماماً بقضية معاداة السامية، وأكدت على ضرورة الربط بين تحرر الطبقة العاملة والنضال ضد معاداة السامية، نظراً لأن اليهود شكلوا قطاعاً لا يستهان به من الطبقة العاملة الأوروبية، ولأنها رأت معاداة السامية كأحد صور التمييز التي تستخدمها الطبقات الحاكمة لتفريق صفوف العمال. ولعب الكثير من اليهود دوراً مهماً

في تأسيس وقيادة الأحزاب الاشتراكية في أوروبا والعالم، وانخرط مئات الآلاف منهم في مختلف الحركات الثورية

ولاحقاً أثبتت ثورة أكتوبر 1917 صحة الاستراتيجية الاشتراكية التي اتبعها لينين والبلاشفة تجاه المسألة اليهودية. فما أن اندلعت الثورة في روسيا . تلك البلد ذات التاريخ الطويل في اضطهاد اليهود . حتى اختار العمال الروس ثواراً يهوداً من البلاشفة . مثل تروتسكي

. ولكن تجربة السنوات الأولى من الثورة الروسية أثبتت أن السبيل الوحيد لتحرر اليهود والأقليات يأتي عن طريق اتحادهم مع اخوتهم.

الرفض الصهيوني لليهوديـة

وسنتناول في هذا المدخل موقف الرفض الجذري والصريح لليهودية .

طرحت الصهيونية نفسها من البداية على أنها رؤية كاملة وشاملة للحياة اليهودية والتاريخ اليهودي والإنسان اليهودي وعلاقته بالطبيعة (الأرض) وبذاته (الهوية اليهودية) ، وقد أدركت الصهيونية هويتها، منذ البداية باعتبارها حركة شاملة ترفض العقيدة اليهودية وترفض الإيمان بأية مطلقات أخلاقية أو دينية متجاوزة لعالم المادة والقوى السياسية والطبقية والصراعات الفكرية. ولنا أن نلاحظ أن مؤسسي الحركة الصهيونية الذين أتوا أساساً من مجتمعات وسط أوربا لم يعيروا اليهودية أي انتباه إلا باعتبارها مشكلة تبحث عن حل. بل إن بعضهم اعتبر العقيدة اليهودية نفسها مشكلة اليهود الحقيقية. وقد أظهر بعض زعماء الصهيونية عداءً واضحاً لليهودية، فتيودور هرتزل تعمَّد انتهاك العديد من الشعائر الدينية اليهودية حين قام بزيارة القدس، وذلك لكي يؤكد أن الرؤية الصهيونية رؤية لادينية. ويمكن أن نأخذ أهم العناصر وهي الموقف من كلٍّ من الأرض والشعب وآلية عودة الشعب للأرض .

1. لم تكن صهيون (فلسطين) بالنسبة للصهاينة أرضاً ذات قداسة خاصة، مرتبطة بالخلاص، وإنما كانت مجرد أرض يُنقَل إليها اليهود لأسباب مادية علمانية .ولم يطالب هرتزل بالقدس وإنما طالب بالأرض صالحة للتقسيم والتوزيع والاستيطان حتى يمكن إقامة

قاعدة يُجمَع فيها اليهود ليقوموا على خدمة من يتكفل بحمايتهم ودعمهم .

2. وقد تم أيضاً رفض مفهوم الشعب المختار أو الشعب المقدَّس. فالشعب المختار، حسب المفهوم الحاخامي، يشير إلى جماعة من المؤمنين يرتبط انتماؤهم إلى هذه الجماعة بمدى طاعتهم للإله. وقد أخذ الصهاينة موقفاً مغايراً تماماً، فنزعوا القداسة عن هذا الشعب ووجهوا سهام نقدهم إليه وإلى الشخصية اليهودية (الدينية) وأعاد الصهاينة تعريف اليهود على أساس عرْقي أو إثني (مادي). ومن ثم، أصبح اليهود بالنسبة لهم شعباً مثل كل الشعوب، فهم مادة بشرية نافعة يمكن نقلها وتوظيفها لصالح من يدفع الثمن .

3. وبعد تحويل صهيون إلى مادة طبيعية (أرض للاستيطان) والشعب المختار إلى شعب مثل كل الشعوب (مادة استيطانية)، وجَّه الصهاينة سهام نقدهم لعقيدة الماشيَّح والعودة فوصفها هرتزل بأنها رؤية متخلفة، ووسمها بن جوريون بالسلبية وطرح بدلاً من ذلك فكرة العودة بقوة السلاح وبمساعدة القوى العظمى لتأسيس دولة يهودية .

نشأة الحركة الصهيونية:

اليهود كتلة بشرية ضئيلة من أول أمرها في الوجود، وعلى هذا أجمع المؤرخون حتى في زمن أنبياء اليهود كانوا حفنة قابلة لأن تذروها الرياح بين إمبراطوريات الشرق، وإن كان هناك جذور لبدء الحركة الصهيونية من سقوط الدولة اليهودية إلى اضطهاد الروس ودخول اليهود إلى الغرب واستعبادهم فإن بوادرها تأسيس حركة تحرير لليهود من نير استعباد الأوربيين وهي التي عرفت باسم الماسونية وكانت تحاول مساعدة اليهود وإخراجهم من محنتهم وخيرتهم بين ست خيارات:

1-فمن من رأى أن خلاصهم عن طريق المسيح المنتظر فلجأوا إلى التدين.

2-ومنهم من رأى أنهم يجب عليهم الذوبان في مجتمع غير اليهود ونسيان الذاتية اليهودية للتخلص من هذه المعاناة.

3-ومنهم من رأى أن الهجرة من البلاد التي يعانون فيها إلى غيرها من البلدان التي لا تعامل اليهود بعنصرية هي الأجدى .

4- البحث في فكرة الاستيطان ودعمها من قبل رجالات المال الأثرياء وإنشاء الجمعية اليهودية للاستعمار ولم تكن فلسطين هي المكان الوحيد المقترح بل هناك أمريكا والبرازيل والأرجنتين وغيرهم.

5- البقاء في أوربا الشرقية لذلك رأوا أن من مصلحتهم الانضمام للحركات الشعبية والسياسية والاقتصادية ثم التملص منها وتحقيق أغراضهم من خلال الحكومات التي نصروها ووضوعوا دساتيرها.

6- ورفض بعضهم كل الحلول السابقة ورأوا العودة إلى تعاليم التوارة مهما كلفهم ذلك من مال وجهد ونفس.

ويرى المؤلف أن اليهود لا يشكلون شعباً لأن ديانتهم لا تعطيهم تلك المفاهيم التي يقوم عليها الشعب ، ويرى أنهم جماعات منها السفارديم وهم يهود الشرق الأصليون ، ومنها الأشكناز وهم يهود أوربا ، ورأت الصهيونية أن بإمكانها أن تخلق بينهم تجانساً وتوحيداً بين عقائدهم وهذا كان المسيطر على أفكار القادة من الصهاينة آنذاك.

ونتيجة تواكب الظروف في أوروبا مع بزوغ ظاهرتين جديدتين: الثورات القومية، والإمبريالية. فمع التوسع الهائل الذي شهدته الرأسمالية بعد منتصف القرن التاسع عشر، دخلت القوى الأوروبية في صراع محموم على المستعمرات لفتح أسواق جديدة تستطيع فيها تصريف فائض إنتاجها والحصول على المواد الخام بأسعار رخيصة. وفي هذا السياق نشأ التيار القومي اليهودي، نشأ كرد فعل لفقدان الأمان والثقة في المجتمع الأوروبي، وأكدوا على ضرورة تنظيم اليهود ذاتياً وبعيداً عن باقي التنظيمات الاجتماعية السياسية الموجودة. ومن رحم معاداة السامية وانتشار الفكر القومي والمد الاستعماري وُلِدَت الصهيونية. وجاء أقوى تعبير عنها على يد الصحفي اليهودي النمساوي ثيودور هرتزل، مؤسس "الصهيونية السياسية".

يعد "تفهم" هرتزل لمعاداة السامية الفرضية الأساسية التي تنطلق منها الصهيونية.

فالصهاينة يرون أن معاداة السامية شئ أزلي وأنه لا يمكن حدوث توافق بين اليهود وغير اليهود. في كتابه "دولة اليهود" أكد هرتزل على أن اليهود الذين سينجحون في الاندماج في المجتمعات الأوروبية هم الأغنياء فقط، ونبه إلى خطورة الهجرة اليهودية الضخمة الآتية من الشرق وعن حتمية تسببها في مشاكل لأثرياء اليهود. كما عبر عن قلقه إزاء انخراط أعداد واسعة من الشباب اليهودي في الحركات الاشتراكية الثورية. ورأى هرتزل أن حل المسألة اليهودية هو أن يتم تهجير اليهود خارج أوروبا، وإقامة دولة لهم تتمتع برعاية إحدى القوى الإمبريالية الأوروبية.

شهد عام 1897 انعقاد أول مؤتمر صهيوني في مدينة بازل السويسرية بحضور 200 عضو من 17 دولة، وتم الإعلان عن ولادة "المنظمة الصهيونية العالمية". واتجه هرتزل بمشروعه يدق أبواب جميع الدول الاستعمارية، بما فيها أشد الحكومات معاداةً للسامية! فحاول أن يفاوض السلطان العثماني، والملك الإيطالي إيمانويل الثالث، وقيصر ألمانيا، والحكومة البريطانية. بل ووصل به الأمر إلى مفاوضة وزير داخلية روسيا القيصرية ومدبر إحدى أبشع المذابح ضد اليهود في الإمبراطورية الروسية عام 1903 .

لم يكن هرتزل مكترثاً بموقع الدولة اليهودية الاستيطانية، إذ فكر في إقامتها في شبه جزيرة سيناء، منطقة العريش، أوغندا، جزيرة قبرص، الكونغو البلجيكي، موزمبيق، العراق، ليبيا، أو فلسطين. فقد كان العامل الرئيسي المؤثر في اختياره هو المصالح الإمبريالية ومدى موائمة الموقع المختار معها. ولم يحاول هرتزل إخفاء الطبيعة الاستعمارية لمشروعه الصهيوني، فمثلاً أثناء التفكير في أوغندا كموقع للدولة اليهودية

في سعيه لإقامة دولته الاستيطانية دعا هرتزل الحركة الصهيونية لإتباع نفس أساليب الدول الاستعمارية، فاقترح إنشاء شركة يهودية على غرار الشركات الاستعمارية البريطانية . مثل شركة الهند الشرقية . لتكون طليعة استيطانية وتمهد البنية التحتية الأساسية للدولة الجديدة، وأكد مراراً عند تعريفه للصهيونية ب . "أنها فكرة استعمارية ولاحقاً كتب الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان أنه لو لم توجد فلسطين لكان من الضروري خلقها من أجل

مصلحة الإمبريالية.

ركائز الحركة الصهيونية العالمية:

فتقوم ركائز الصهيونية على أربعة ركائز:

- الروابط التاريخية والدينية القديمة التي تربط اليهود بأرض فلسطين والصهاينة بعهود.
- أصل اليهود واحد وهم أصحاب جنسية واحدة هي الجنسية الإسرائيلية.
- الأرض الموعودة هي لشعب الله المختار وهي فلسطين وما حولها من النيل إلى الفرات.
- أن الرب قد تعهد أن يرقى بذرية إسرائيل في النهاية إلى سيادة العالم وفلسطين قاعدة الإمبراطورية اليهودية المنشودة

وعليه يمكن تعريف الصهيونية بشكل مبدئي بأنها حركة داخل التشكيل السياسي والحضاري الغربي تنظر إلى اليهود من الخارج باعتبارهم فائضاً بشرياً، فهم بقايا الجماعات الوظيفية اليهودية التي فَقَدت وظيفتها ونفعها وتحوَّلت إلى شعب عضوي منبوذ وفائض بشري لا نفع له (ويتم تهويد هذا حيث ينظر اليهود إلى أنفسهم من الداخل باعتبارهم الشعب المختار أو الشعب العضوي أو الشعب الذي فقد وطنه ولذا فهو لا يمكنه تحقيق رسالته). هذا الفائض (الشعب) يجب أن يُهجَّر (يعود) من أوطانهم (أرض المنفى) إلى خارج أوربا في أية بقعة في العالم. ثم تحدَّدت البقعة بفلسطين (صهيون أو إرتس يسرائيل أو أرض إسرائيل في المصطلح الصهيوني). وسيتم نقلهم حتى يتم توظيفهم وتحويلهم إلى عنصر استيطاني يقوم على خدمة المصالح الغربية .

الفكر الصهيوني والحركة الصهيونية:

تاريخ الصهيونية مركب لأقصى حد بسبب تداخل مستوياته وساحاته، سنقسم تاريخ الصهيونية إلى أربعة مراحل أساسية:

أولا: المرحلة التكوينية .

1. الصهيونية ذات الديباجة المسيحية(حتى نهاية القرن السابع عشر):

شهدت هذه المرحلة من ناحية الخلفية العامة البدايات الحقيقية للانقلاب التجاري في الغرب. إذ هيمن الجيب التجاري (الذي كان منعزلاً في المدن في أوربا الإقطاعية) على الاقتصاد الزراعي الإقطاعي عام 1500 تقريباً، وأعاد صياغة الإنتاج وتوجيهه بحيث خرج به عن نطاق الاكتفاء الذاتي وسد الحاجة. وبدأ التجار يلعبون دوراً مهماً في توجيه سياسات الحكومات، وهذا ما يُعبَّر عنه بالانقلاب التجاري، وقد شجع هذا الانقلاب حركة الاكتشافات الجغرافية، وهي حركة استعمارية ضخمة كانت تأخذ شكل استيطان في مراكز تجارية على الساحل، وفي أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، أصبحت إنجلترا بعد أن تحوَّلت عن الكاثوليكية ونفضت النفوذ الإسباني عنها، أهم قوة استعمارية، فراكمت الثروات وسيطرت على رقعة كبيرة من الأرض. وواكب كل هذا حركة الإصلاح الديني التي أعادت تعريف علاقة الإنسان بالخالق وبالكتاب المقدَّس بحيث أصبح في إمكان الفرد أن يحقق الخلاص بنفسه لنفسه خارج الإطار الكنسي الجمعي، ودون حاجة إلى رجال الدين، وأصبح من واجبه أن يفسر الكتاب المقدَّس لنفسه .

ظهرت الصيغة الصهيونية الأساسية في أواخر القرن السادس عشر على شكل الأحلام الاسترجاعية وقد وُلدت كفكرة وحسب، كإمكانية تبغي التحقق لا في أوربا وإنما خارجها.

2. صهيونية غير اليهود (حتى منتصف القرن التاسع عشر) :

شهدت هذه المرحلة تراكم رؤوس الأموال وهيمنة الملكيات المطلقة على معظم أوربا، غربها ووسطها، وإلى حدٍّ ما شرقها. ورغم أن القوى السياسية التقليدية كانت لا تزال مسيطرة على دفة الحكم فإن الطبقات البورجوازية ازدادت قوة وثقة بنفسها وبدأت تطالب بنصيب من الحكم، بل بدأت تؤثر فيه. وقد عبَّر هذا عن نفسه من خلال الفلسفات الثورية المختلفة والنظريات الكثيرة عن الدولة والفكر العقلاني، وأخيراً من خلال الثورة الفرنسية التي تُعدُّ ثمرة كل الإرهاصات السابقة وتشكِّل نقطة تحوُّل في تاريخ أوربا بأسرها .

وقد أدَّى تراكم رؤوس الأموال والفتوحات العسكرية والاكتشافات الجغرافية وتقدُّم العلم والتكنولوجيا إلى حدوث النقلة النوعية التي يُطلَق عليها الثورة الصناعية، ويرى بعض

المؤرخين أن بدايتها تعود إلى هذه الفترة. وكانت إنجلترا في المقدمة هذا التحول، فقد كانت أول دولة في العالم تتحول من دولة تجارية إلى دولة رأسمالية صناعية، ثم تحوَّلت إلى قوة عظمى بعد انتصارها على فرنسا في حرب السنوات السبع، وبعد توقيع معاهدة أوترخت عام 1713. وفي نهاية القرن الثامن عشر كانت إنجلترا أكبر قوة استعمارية في العالم.

وكان الوهن الذي دب في أوصال الدولة العثمانية قد بدأ يظهر ويتضح، وكانت كل القوى الغربية تفكر في طريقة للاستفادة من هذا الضعف لتحقق لنفسها بعض المكاسب. وقد أخذ هذا شكل الهجوم المباشر من روسيا التي ضمت بعض الإمارات التركية على البحر الأسود، ثم هجوم نابليون على مصر، بينما قررت إنجلترا، ومن بعدها ألمانيا (في مراحل مختلفة) الحفاظ على هذه الإمبراطورية مع تحقيق المكاسب من خلال التدخل في شئونها و"إصلاحها" حتى تقف حاجزاً ضد أي زحف روسي محتمل .

ولعل أهم حقيقة سياسية في هذه المرحلة هي ظهور محمد علي المفاجئ وقيامه بتكوين إمبراطوريته الصغيرة. فقد قلب موازين القوى وهدد المشروع الاستعماري الغربي الذي كان يفترض أن العالم كله إن هو إلا ساحة لنشاطه وسوق لسلعه، ووضع حداً لآمال الدول الغربية التي كانت تترقب اللحظة المواتية لاقتسام تركة الرجل المريض المحتضر. ولذا تحالفت الدول الغربية كلها، ومنها فرنسا، وعقدت مؤتمر لندن عام 1840 وقررت فيه الإجهاز عليه، فاضطرته إلى التوقيع على معاهدة لندن لتهدئة المشرق. وعند هذه النقطة تبلورت الفكرة الصهيونية بين غير اليهود، وتحوَّلت من مجرد فكرة إلى مشروع استعماري محدد، إذ بدأت تُطرَح فكرة تقسيم الدولة العثمانية ومن ثم اكتسبت الصيغة الصهيونية الأساسية مضموناً تاريخياً وبُعْداً سياسياً، وأصبح بالإمكان دمج المسألة اليهودية (مسألة الشعب العضوي المنبوذ مع المسألة الشرقية تقسيم الدولة العثمانية) وطُرحت إمكانية توظيف الشعب المنبوذ وبدأ التفكير في حل المسألة اليهودية عن طريق نَقْل اليهود إلى فلسطين وإيجاد قاعدة للاستعمار الغرب أي أن تتم حوسلة اليهود باسم الحضارة الغربية ومصالحها التي هي مركز الحلول .(ويمكن القول بأن الفكرة الصهيونية قد بدأت تتحول إلى فكرة

مركزية في الوجدان السياسي الغربي. وهذه المرحلة هي مرحلة صهيونية غير اليهود وظهر أهم مفكر صهيوني إيرل أوف شافتسبري السابع، كما ظهر لورانس أوليفانت ولكن حتى هذه المرحلة، لم تكن فكرة الدولة اليهودية قد ظهرت، إذ كان التصور لا يزال أن يكون التجمُّع اليهودي محمية تابعة لدولة غربية. وحتى فلسطين نفسها كمكان للتجمُّع كان لا يزال أمراً غير مقرر وكانت النظرة لليهود لا تزال خارجية، فقد كان يُنظَر إليهم كمادة استعمالية لا قيمة لها في حد ذاتها تكتسب قيمتها من نفعها.

3. صهيونية أثرياء اليهود المندمجين في مجتمعاتهم الغربية (النصف الثاني من القرن التاسع عشر)

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تَعُد الحروب ضد دول آسيا وأفريقيا، بعد التطورات الصناعية المذهلة في أوربا، أمراً يبهظ خزائن الدول الاستعمارية، بل إن العائد أصبح يفوق التكاليف وكانت إحدى مقولات أعداء المشروع الاستعماري أن تكاليف الإمبراطورية تفوق عائدها ومما تجدر ملاحظته كذلك أن الضغوط السكانية والأزمة الاقتصادية داخل المجتمعات الغربية جعلتها تبحث عن حل لمشاكلها خارج أوربا. ولكل هذا طرحت الإمبريالية نفسها باعتبارها المخرج من المأزق التاريخي .

ولكن المشروع الإمبريالي لم يكن يتم في ظل نظريات التجارة الحرة، إذ سيطر فكر احتكاري جديد يُسمَّى «نيو . مركنتاليneo-mercantile بحيث تم تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ واحتكارات، كل منطقة منها مقصورة على الدولة التي استعمرتها (ومن هنا المؤتمرات الدولية المختلفة في هذه الفترة لتقسيم العالم إلى مناطق نفوذ)، ومع منتصف القرن التاسع عشر كانت إنجلترا ورشة العالم بلا منازع. فإنتاجها الصناعي كان قد وصل إلى مستوى لم تعرفه البشرية من قبل، وإمبراطوريتها كانت مترامية الأطراف تحميها قوة عسكرية ضخمة وأسطول يُسيطر على كل بحار العالم. وقد اتخذت السياسة البريطانية شكلاً إمبريالياً أكثر حدة، ولا سيما بعد تحطيم مطامع روسيا في حرب القرم، وبعد أن تحوَّل مشروعها الاستعماري إلى أواسط آسيا وغيرها من المناطق البعيدة عن أفريقيا والشرق الأوسط اللذين تزايد الاهتمام

الإمبريالي البريطاني بهما. فاشترت بريطانيا أسهم شركة قناة السويس عام 1876، واستولت على قبرص عام 1878، واحتلت مصر (الطريق إلى الهند) عام 1882. ونتيجة كل هذا أصبح مصير فلسطين جزءاً من المخطط الاستعماري البريطاني، الأمر الذي حدا بكتشنر أن يطالب بتأمين ضم فلسطين للإمبراطورية. ومع هذا كانت بريطانيا لا تزال ملتزمة بضمان ممتلكات الدولة العثمانية "من النيل إلى الفرات" التي "وعد الرب بها إبراهيم" ومن ثم أصبحت منطقة نفوذ بريطانية. ولكن في عام 1885 قرَّرت حكومة المحافظين أن من الخير الموافقة على اقتراح القيصر بتقسيم الإمبراطورية العثمانية.

ومع هزيمة فرنسا على يد ألمانيا عام 1871 نشط المشروع الإمبريالي الألماني، وبالتالي العلاقة مع الدولة العثمانية، فزاد حجم القروض الألمانية لها، وزار القيصر وليام الثاني القسطنطينية عام 1898 وزار بعدها فلسطين، ولذا ظل المشروع الصهيوني متأرجحاً بين أعظم قوتين إمبرياليتين في ذلك الحين، البريطانية والألمانية .

كانت الصيغة الصهيونية حتى هذه المرحلة مجرد فكرة غربية تبحث عن المادة البشرية اليهودية المُستهدَفة التي ستُوظَّف. ومع تعثُّر التحديث في شرق أوربا في أواخر القرن التاسع عشر، تدفَّق المهاجرون اليهود من شرق أوربا إلى غربها، الأمر الذي هدَّد أمن هذه الدول كما هدَّد مكانة أعضاء الجماعات اليهودية فيها، وقد أدَّى هذا إلى تشابك مصير يهود غرب أوربا ومصير يهود اليديشية .ويمكننا أن نقول إن تاريخ صهيونية غير اليهود يبدأ مع ظهور حركة الاستعمار الاستيطاني وتتبلور ديباجاته وتكتسب بُعْداً أساسياً مع ظهور محمد عليّ وسقوطه (ويُلاحَظ أن أعضاء الجماعات اليهودية لا علاقة لهم بتطور الفكرة الصهيونية).

ولا يبدأ تاريخ الصهيونية عند اليهود إلا مع تعثُّر التحديث وتعاظم الإمبريالية، كرؤية وكممارسة .

ومن أهم الصهاينة التوطينيين في هذه المرحلة إدموند دي روتشيلد وهيرش ومونتفيوري .

4. إرهاصات التيارات الصهيونية المختلفة بين اليهود (العقود الأخيرة في القرن التاسع عشر) :

لا تختلف الخلفية التاريخية لهذه المرحلة كثيراً عن سابقتها، فالإمبريالية الغربية كانت قد قسَّمت العالم بينها وكانت ألمانيا تحاول أن تُعيد التقسيم لتوسيع الرقعة التي تهيمن عليها ومن هنا استمرار تذبذب الصهاينة بين بريطانيا وألمانيا ورغم أن سياسة بريطانيا الرسمية كانت الحفاظ على الإمبراطورية العثمانية وأملاكها إلا أن القرار بتقسيمها كان قد تم اتخاذه بالفعل. وكان التعبير عن كل هذه الصراعات هو الحرب العالمية الأولى التي انتهت بضم فلسطين (الساحة) إلى الإمبراطورية البريطانية واختفاء الدولة العثمانية كقوة سياسية .

5. مرحلة هرتزل (العقود الأخيرة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين):

ظهر هرتزل بين صفوف يهود الغرب المندمجين التوطينيين فاكتشف حاجة الغرب ويهود الغرب للتخلص وبسرعة من يهود شرق أوربا. ولكنه اكتشف الحقيقة البدهية الغائبة عن الجميع: حتمية التحرك داخل إطار الإمبريالية الغربية التي يمكنها وحدها أن تنقل اليهود خارج أوربا وأن توظفهم لصالحها نظير أن تزودهم بالدعم والحماية. وقد اكتشف هرتزل أيضاً فكرة القومية العضوية والشعب العضوي (فولك) التي تستطيع أوربا العلمانية الإمبريالية أن تدرك اليهود من خلالها. وقد نجح هرتزل في التوصُّل إلى خطاب مراوغ وهو ما جعل وضع نصوص العقد الصامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية بشأن يهود العالم ممكناً .وهو عقد يُرضي يهود الشرق ولا يُفزع يهود الغرب، ويجعل بإمكان الإمبريالية أن تضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ. كما أنه فتح الباب أمام عملية تهويد الصيغة الصهيونية الأساسية من خلال الديباجات اليهودية المختلفة. ويتميز هرتزل عن كل من شافتسبري وأوليفانت في أنه هو نفسه يهودي ينظر إلى المادة البشرية المُستهدَفة من الداخل. ولكنه مع هذا يهودي غير يهودي، ولذا فهو ينظر إلى هذه المادة من الخارج ويراها باعتبارها مشكلة تبغي حلاً لا قيمة إنسانية تبغي التحقق. وبسبب ازدواجيته هذه، نجح هرتزل في أن يكون جسراً بين التوطينيين والاستيطانيين وبين اليهود والغرب، ولذا يمكن القول بأن الصهيونية تحوَّلت من فكرة إلى مشروع استيطاني استعماري على يد هرتزل في مؤتمر بال الذي وُلدت فيه الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة. وقد فزع أثرياء الغرب

اليهود من دعوة هرتزل في بادئ الأمر، كما رفضها معظم الجماعات والمنظمات اليهودية في العالم.

6. تبلور الفكرة الصهيونية بين اليهود :

أ حتمية الحل الإمبريالي: أدرك قادة يهود شرق أوربا حتمية الحل الإمبريالي من خلال هرتزل .ب) استقرار الصيغة الصهيونية الشاملة: تم قبول الدولة اليهودية الوظيفية باعتبارها الهدف الأساسي للحركة الصهيونية والإطار الذي يتم توظيف اليهود من خلاله. وأدَّى تقسيم الدولة العثمانية إلى حسم الأمور تماماً لصالح دعاة الاستيطان في فلسطين .

جـ) تهويد الصيغة الصهيونية: أحس قادة يهود شرق أوربا أن الصيغة الصهيونية الأساسية، وصيغة هرتزل الاستعمارية، لا يمكن أن تُجنِّد يهود اليديشية، ولذا فقد أثاروا قضية المعنى والوعي اليهودي وأضافوا ديباجات إثنية دينية وعلمانية أدَّت إلى تهويد الصيغة الصهيونية وجعلت الشعب اليهودي مرة أخرى مركزاً للحلول وجماعةً لها قيمة في حد ذاتها، الأمر الذي جعل بإمكان يهود شرق أوربا استبطان الصيغة الصهيونية الأساسية. ويُلاحَظ أن الصهيونية الإثنية الدينية والعلمانية لا هي بالتوطينية ولا هي بالاستيطانية لأنها تتوجه لمستوى الهوية والوعي الذي يتجاوز ثنائية الاستيطان والتوطين وإن كان لها ثنائيتها الخاصة (ديني/علماني(، وهي صهيونية تنظر إلى اليهود من الداخل .

د) الديباجات والتيارات السياسية :أدخل بعض الصهاينة العلمانيين ديباجات ليبرالية (الصهيونية العامة) أو اشتراكية) صهيونية عمالية) أو فاشية) (الصهيونية التصحيحية) لتحديد شكل الدولة المزمع إقامتها، أي أنهم حددوا شكل الاستيطان، وبذا تكون الفكرة الصهيونية قد اكتملت وتحدَّدت ملامحها وصيغت كل الديباجات اللازمة لتسويقها أمام قطاعات وطبقات الجماعات اليهودية في شرق أوربا وغربها. وحتى ذلك التاريخ، كانت هناك صراعات كثيرة داخل الحركة الصهيونية :

أ) صراع بين التسلليين والدبلوماسيين .

ب) بين الدينيين والعلمانيين .

جـ) بين دعاة الاعتماد على ألمانيا في مواجهة دعاة الاعتماد على إنجلترا .

د) صراعات أيديولوجية بين دعاة الليبرالية ودعاة الاشتراكية .

هـ) صراع بين دعاة الصهيونية الإقليمية ودعاة الصهيونية التوطينية، أي بين دعاة الاستيطان في أي مكان ودعاة ما يُسمَّى «صهيونية صهيون» أي الاستيطان في فلسطين وحدها .

7. تأسيس المنظمة الصهيونية: لم تكن بلورة الفكرة الصهيونية كافية، بل كان ضرورياً أن يوجد إطار تنظيمي. وقد وضع هرتزل التصور الأساسي في كتابه دولة اليهود ، ثم دعا للمؤتمر الصهيوني الأول (1897) وتم تأسيس المنظمة الصهيونية .

ثانياً: مرحلة الولادة فى مطلع القرن العشرين .

تختلف خريطة العالم السياسية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى عن التي سادت قبلها اختلافاً بيّناً. فقد انتصر الاستعمار البريطاني على الاستعمار الألماني والتهم النصيب الأكبر من الإمبراطورية العثمانية، ثم ظهرت إرهاصات القومية العربية (ولكن حركة القومية العربية وحركة المقاومة العربية الفلسطينية، وبخاصة في العقود الأولى من هذه الفترة كانت ضعيفة غير قادرة على تعبئة الجماهير وتنظيمها ضد الاستعمارين الإنجليزي والصهيوني بتنظيمهما الحديث وعلاقاتهما العالمية وتعاونهما الوثيق داخل فلسطين وخارجها). وقد تصاعدت المقاومة في الثلاثينيات، ولكن المؤسستين الاستعماريتين نجحتا في قمعها وانتهى الأمر بطرد غالبية الفلسطينيين من ديارهم وأُعلنت الدولة عام 1948 بموافقة الدول الغربية العظمى كلها وموافقة الاتحاد السوفيتي (ولم تظهر المقاومة الفلسطينية مرة أخرى بشكل منظم إلا عام 1965 بقيادة فتح وبمشاركة الفصائل الفلسطينية الأخرى رغم أنها لم تتوقف إذ أخذت أشكالاً تلقائية غير منظمة طيلة الفترة السابقة .(

وفي بداية هذه المرحلة ظهرت الولايات المتحدة كقوة كبرى لها ثقل يُعتدُّ به على الصعيد العالمي. أما الاتحاد السوفيتي فقد دخل مرحلة البناء والتحديث الاشتراكي التي فرضت عليه نوعاً من العزلة. ومع ثلاثينيات القرن بدأ مركز الإمبريالية في الانتقال من لندن إلى

واشنطن، وهي عملية يمكن القول بأنها اكتملت بعد الحرب العالمية الثانية التي خرجت منها الولايات المتحدة قائداً للمعسكر الإمبريالي بلا منازع .

كما يُلاحَظ تَركُّز معظم يهود العالم في الولايات المتحدة وقد كان لهذين العنصرين أعمق الأثر في تعميق توجُّه الحركة الصهيونية ثم الدولة الصهيونية نحو أمريكا .

مع وعد بلفور، حُسمت كل الأمور. فبعد ظهور الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة وقبول القيادات الصهيونية لها، يظهر بلفور (ممثل الإمبراطورية البريطانية والحضارة الغربية ككل (ويوقع عقد بلفور باعتباره ممثلاً للحضارة الغربية (ويوقعه عن الطرف الآخر الصهاينة التوطينيون من يهود الغرب المندمجين والصهاينة الاستيطانيين اليهود ممثلي المادة البشرية اليهودية من شرق أوربا) فتصبح الحركة الصهيونية مشروعاً استعمارياً استيطانياً إحلالياً متكاملاً .

ويجب ألا نخلق انطباعاً خاطئاً بأن هناك تعاقباً زمنياً صارماً، فالصهيونية ذات الديباجة المسيحية لا تزال مزدهرة رغم أن الحضارة الغربية قد تطوَّرت بطريقة همشت المسيحية ككل، كما أن صهيونية غير اليهود(العلمانية) لا تزال قائمة والصهيونية التوطينية لا تزال هي الصهيونية المنتشرة بين معظم يهود العالم (ويُطلَق عليها صهيونية الدياسبورا).

وبعد إعلان وعد بلفور، وبعد اكتساب المنظمات الصهيونية الشرعية الاستعمارية التي كانت تسعى اليها، تغيَّرت الصورة تماماً، فلم تَعُد القضية قضية بعض قيادات الفائض اليهودي من شرق أوربا، ولم تَعُد المسألة متصلة بإغاثة بضعة آلاف من اليهود، وإنما أصبحت المنظمة تابعة لأكبر قوة استعمارية على وجه الأرض آنذاك، وأصبحت ذات وظيفة محددة هي نَقْل المادة البشرية اليهودية إلى فلسطين لتأسيس قاعدة لهذه القوة. ولذا فلم يَعُد هناك مجال للاختلافات الصغيرة بين دعاة الاستيطان العمليين مقابل دعاة بذل الجهود الدبلوماسية مع الدولة الراعية. كما لم يَعُد هناك أي مبرر لوجود دعاة الصهيونية الإقليمية (أي توطين اليهود خارج فلسطين)، وتساقطت بالتالي كثير من التقسيمات الفرعية أو أصبحت غير ذات موضوع، وتم تقسيم العمل على أساس جديد يقبله الجميع، وظهر ما

يمكن تسميته «الصهيونية التوفيقية». كما أن الرفض اليهودي للصهيونية فقد دعامته الأساسية: الخوف من ازدواج الولاء إذ أصبح تأييد الصهيونية أمراً لا يتناقض مع ولاء الإنسان الغربي لوطنه وحضارته.

ثالثاً :الاستيطان في فلسطين .

تاريخ الحركة الصهيونية بعد ذلك هو تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين تحت رعاية حكومة الانتداب ومقاومة العرب لهذا الاستيطان. وقد ظهرت بعض التوترات بين القوة الاستعمارية الراعية والمستوطنين (وهو توتر يسم علاقة أية دولة راعية بالمستوطنين التابعين لها، وهو لا يعود إلى تناقض المصالح وإنما إلى اختلاف نطاقها، فمصالح الدولة الراعية أكثر اتساعاً وعالمية من مصالح المستوطنين .(ولذا، فقد أصدرت الحكومة البريطانية الراعية مجموعة من الكتب البيضاء لتوضِّح موقفها من المستوطنين الصهاينة ومن العرب. وقد انتقل دور الدولة الراعية من إنجلترا إلى الولايات المتحدة. ولكن كل هذه العناصر لا تغيِّر بنية الفكر الصهيوني ولا اتجاه الحركة ولا تؤثر في المنظمة الصهيونية .

أما بالنسبة للمنظمة الصهيونية، فبعد صدور وعد بلفور كان ضرورياً أن يكون لها ذراعها الاستيطاني الذي يتعامل مع حقائق الموقف في فلسطين. وقد أسَّست المنظمة الصهيونية ساعدها التنفيذي المعروف باسم الوكالة اليهودية عام 1922، إذ نص صك الانتداب البريطاني على فلسطين على الاعتراف بوكالة يهودية مناسبة لإسداء المشورة إلى سلطات الانتداب في جميع الأمور المتعلقة بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وفي عام 1929، نجح وايزمان . رئيس المنظمة الصهيونية آنذاك . في إقناع أعضاء المؤتمر الصهيوني السادس عشر بضرورة توسيع الوكالة اليهودية بحيث يتشكل مجلسها من عدد من أعضاء المنظمة وعدد مثله من غير أعضائها. وكان الغرض من ذلك استمالة أثرياء اليهود التوطينيين لتمويل المشروع الصهيوني دون إلزامهم بالانخراط في صفوف المنظمة، والإيحاء في الوقت نفسه بأن الوكالة تمثل جميع يهود العالم ولا تقتصر على أعضاء المنظمة. وكان من شأن هذه الخطوة أن تعطي دفعة قوية للحركة الصهيونية وتدعم الموقف التفاوضي

للمنظمة الصهيونية مع الحكومة البريطانية التي كان يقلقها تصاعد الأصوات الرافضة للصهيونية في أوساط يهود بريطانيا (وقد ظلت المنظمتان تُعرَفان بالاسم نفسه على النحو التالي :المنظمة الصهيونية/الوكالة اليهودية حتى عام 1971 حين جرت عملية مزعومة وشكلية لإعادة التنظيم بحيث أصبحت المنظمتان منفصلتين قانونياً ولكل منهما قيادة مختلفة) .

ولم يهدأ الصراع تماماً بين التوطينيين والاستيطانيين. فحتى عام 1948، كان الصراع يدور حول من يتحكم في المنظمة وحول تحديد أهداف المشروع الصهيوني. أما بعد عام 1948، فإن مجال الصراع أصبح تعريف اليهودي (الديني والعلماني) إذ حُسمت قضية التحكم في المنظمة لصالح المستوطنين تماماً، ولم يعد الصهاينة التوطينيون يهتمون به .

رغم عدم اشتراك يهود البلاد العربية في إفراز الفكر الصهيوني أو الحركة الصهيونية، ورغم أن الصهيونية (بشقيها الشرقي والغربي) لم تتوجه إليهم بشكل خاص ولم تحاول تجنيدهم بشكل عام وواسع قبل عام 1948، إلا أن إنشاء الدولة قد خلق حركيات تتخطى إرادتهم. كما أن حاجة الدولة الصهيونية إلى طاقة بشرية (بعد عزل يهود الشرق أو اختفائهم وبعد رفض يهود الغرب الهجرة) جعلها تهتم بهم وتجندهم وتفرض عليهم في نهاية الأمر «مصيراً صهيونياً»، أي الخروج من أوطانهم. وقد استقرت أعداد كبيرة منهم في الدولة الصهيونية، وإن كان من الملحوظ أن أعداداً أكبر استقرت خارجها .

وقد ظهرت صراعات بين دعاة الديموقراطية ودعاة الشمولية، وبين دعاة المشروع الرأسمالي الحر والنهج الاشتراكي، ولكنها صراعات لا علاقة لها بالفكر الصهيوني ولا الحركة الصهيونية فهي صراعات داخلية بين المستوطنين، وإذا شارك فيها الصهاينة التوطينيون فإن مساهمتهم تظل ثانوية. وتعود هامشية هذه الصراعات إلى أن الولايات المتحدة تمول التجمُّع الصهيوني بأسره، بمن فيه من رأسماليين وإرهابيين وعقلاء ومجانين واشتراكيين وقتلة.

فالحقيقة الأساسية هي وظيفية الدولة الصهيونية، ولذا فإن الصراعات ذات المضمون الأيديولوجي العميق أو السياسي المسطح ليست ذات أهمية كبيرة .أما الصراع بين الإشكناز

والشرقيين فهو صراع عميق ومهم ولكنه لا يؤثر في الفكر الصهيوني أو الحركة الصهيونية، فهو قضية إسرائيلية داخلية تماماً .

وخاضت الدولة الصهيونية حروبها المتعددة ضد العرب، من حرب 1948 إلى حرب 1956 إلى حرب 1967 إلى حرب 1973 إلى اجتياح لبنان عام 1982 وما تبعه من توسُّع ومزيد من القمع. وتزايد الرفض الفلسطينى للدولة الاستيطانية الصهيونية والمقاومة لها .

رابعاً: أزمة الصهيونية .

تواجه الصهيونية، كفكرة وحركة ومنظمة ودولة، أزمة عميقة لعدة أسباب من بينها انصراف يهود العالم عنها. فالصهيونية لا تعني لهم الكثير، فهم يفضلون إما الاندماج في مجتمعاتهم أو الهجرة إلى الولايات المتحدة، وقد تدهورت صورة المُستوطَن الصهيوني إعلامياً بعد الانتفاضة إذ أن هذه الدولة الشرسة أصبحت تسبب لهم الحرج الشديد. وقد أدَّى هذا إلى أن المادة البشرية المُستهدَفة ترفض الهجرة، الأمر الذي يسبب مشكلة سكانية استيطانية للمُستوطَن الصهيوني. ويُلاحَظ تزايد حركات رفض الصهيونية والتملص منها وعدم الاكتراث بها بين يهود العالم .

وعلى المستوى الأيديولوجي، يُلاحَظ، في عصر نهاية الأيديولوجيا وما بعد الحداثة، أن كل النظريات تتقلص ويختفي المركز، والشيء نفسه يسري على الصهيونية إذ أن إيمان يهود العالم بها قد تقلَّص تماماً، ولذا فإن من يهاجر إلى إسرائيل إنما يفعل ذلك لأسباب نفعية مادية مباشرة. وفي داخل إسرائيل، تظهر أجيال جديدة تنظر إلى الصهيونية بكثير من السخرية. وعلى المستوى التنظيمي، تفقد المنظمة كثيراً من حيويتها وتصبح أداة في يد الدولة الصهيونية، وتُقابَل اجتماعاتها بالازدراء من قبَل يهود العالم والمستوطنين في فلسطين. ولم تغيِّر اتفاقية أوسلو من الأمر كثيراً، بل لعلها تُسرع بتفاقم أزمة الصهيونية، باعتبار أن الدولة ستصبح أكثر ثباتاً واستقراراً وستتحدد هويتها كدولة لها مصالحها الاقتصادية والإستراتيجية المتشعبة التي ليس لها بالضرورة علاقة كبيرة بأعضاء الجماعات اليهودية في العالم .

وهذه المرحلة شهدت تحول الفكرة الصهيونية، الاستيطانية الإحلالية، إلى واقع إستيطانى إحلالى، إذ نجحت الدولة الصهيونية فى طرد معظم العرب من فلسطين واستبعاد من تبقى منهم. وأصبحت الدولة الصهيونية هى الدولة/ الشتتل أو الدولة/ الجيتو، المرفوضة من السكان الأصليين، أصحاب الأرض .

ولكن فى عام 1967، مع ضم المزيد من الأراضى العربية بمن عليها من بشر، تحولت الدولة الصهيونية من دولة استيطانية إحلالية إلى دولة استيطانية مبنية على التفرقة اللونية (الأبا رتهايد) الأمر الذى يتبدى فى المعازل والطرق الالتفافية. وشهدت هذه الفترة مولد المقاومة الفلسطينية المنظمة وتصاعدها، واندلاع الانتفاضة المباركة، التى استمرت ما يزيد عن ستة أعوام، ولم تنطفأ جذوتها بعد، وهى بذلك تكون أطول حركة عصيان مدنى فى التاريخ.

الأسباب التالية لظهور الصهيونية :

- فشل المسيحية الغربية في التوصل إلى رؤية واضحة لوضع الأقليات ورؤيتها لليهود على انهم قتلة المسيح .
- وضع اليهود كجماعة وظيفية داخل المجتمع الغربي كتجار وهو وضع كان مستقراً إلى حدٍّ ما إلى أن ظهرت البورجوازيات المحلية فاهتز وضعهم وكان عليهم البحث عن وظيفة جديدة
- بروز العوامل الإستراتيجية والسياسية: كان نابليون بونابرت N. Bonaparte (1769- 1821) أول رجل دولة يقترح إقامة دولة يهودية في فلسطين سنة 1799، وذلك في أثناء حملته المشهورة على مصر، وبمناسبة هجومه على فلسطين وحصار عكا. ورغم أن نص البيان الذي أصدره لليهود تهيمن عليه الروح الدينية، إلا أن بعض الباحثين يرون أن ذلك كان ينسجم مع اهتمامه السياسي في الاستفادة من اليهود في خططه الاستعمارية
- انتشار الظاهرة القومية في أوروبا: فقد انتشرت الحركات القومية في أوروبا وأصبح

كل مجتمع أوروبي يؤكد على قوميته الخاصة ويبرز مزاياها، واختلافها عن الآخرين، ، وركزت القوميات على الروابط العضوية، وبالتالي صنف اليهود غرباء مما منع من فرص اندماجهم. وقد زاد من تفاقم الوضع تضاعف أعداد السكان اليهود خصوصاً في أوروبا الشرقية زيادة ملحوظة بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ، وخصوصاً في شرق أوربا، ابتداءً من القرن التاسع عشر .

- ظهور "السامية" أي توجيه العداء لليهود لكونهم ينتمون إلى العرق السامي، وعلى ذلك فإن العداء لليهود في أوروبا أسهم بشكل لا يقل عن العواطف المؤيدة لليهود في تأسيس الحركة الصهيونية، لأنه أوجد مشكلة فعلية يجب السعي مباشرة وبسرعة لحلها، وقد تمكن اليهود من استثمار ذلك بشكل كبير، وكان على أهل فلسطين والعالم الإسلامية أن يدفعوا فاتورة مشاكل اليهود ومعاناتهم في أوروبا؟!!
- سقوط القيادات التقليدية للجماعات اليهودية (الحاخامات وأثرياء اليهود) وظهور المثقف اليهودي الذي فقد هويته اليهودية ولم يكتسب هوية غربية جديدة، فهو يهودي غير يهودي .
- ظهور الفكر العنصري وهيمنته على قطاعات كبيرة في المجتمعات الغربية
- وقد تكرس هذا الأمر في عقائد الأوروبيين وفكرهم وأدبهم وفنهم، وظهر في كتابات مشاهيرهم أمثال: مارتن لوثر (1483- 1546)، وإسحاق نيوتن (1643-1727)، وجان جاك روسو (1712-1778)، وغيرهم. وهذا أصبحت فكرة ضرورة إعادة فلسطين لما يسمى أصحابها "اليهود" شائعة.

أهداف الصهيونية:

أهداف الصهيونية وضعت كما يراها بدقة الصهاينة بحيث تضمن لهذه الجماعة الدعم الشعبي من القاعدة العريضة من اليهود والدعم العالمي من كبرى دول العالم وأصحاب النفوذ في العالم.

الهدف الأول: الدعوة للصهيونية في حواضر العالم المتمدنة، وخاصة بين رجال الحكم والسياسة في الدول التي بيدها مقاليد حكم أغلبية الشعوب. واتخذوا لذلك وسائل إما عن طريق الإقناع والإغراء، بنفوذ أو مال، أو بأساليب مؤثرة على الشخصيات العالمية والمهمة في الدول الرائدة أو عن طريق ممارسة الضغط القهري لتنفيذ المخططات الصهيونية ولا يقف نشاط الصهيونية عن ذلك بل يمتد لسلب خيرات الدول والشعوب.

الهدف الثاني: غرس وتنمية الفكرة الصهيونية في أعماق اليهود حيثما كانوا وحملهم على اعتناقها وتحقيقها، حيث ستقوم الحركة الصهيونية بحشد يهود العالم وراء المشروع الصهيوني الغربي بحيث يصبحون عملاء ووكلاء للغرب أينما كانوا، فقضيتهم مبنية على كسب ود الفرد اليهودي وإقناعه بالعمل لأجل الصهيونية، وهذا يؤكده استمرار عملهم إلى الآن، في جمع التبرعات لدعم إسرائيل،.

الهدف الثالث: إغراء الدول العظمى التي بيدها الحل والعقد بربط مصالحها بمصالح اليهود في إقامة دولتهم في فلسطين والتحدث مع كل دولة بما يتماشى مع هواها وأهدافها القريبة والبعيدة، ولأجل تحقيق هذه الأغراض قاموا بالسيطرة على الأفراد الحاكمة، للوصول إلى الأهداف المنشودة، كبريطانيا ووعد "بلفور" المشهور وأمريكا والامتداد الجغرافي والتوسع فيه.

الهدف الرابع: يُؤسِّس المستوطنون، في موقعهم الجديد، قاعدة للاستعمار الغربي، وتتعهد الصهيونية بتحقيق مطالب الغرب ذات الطابع الإستراتيجي ومنها الحفاظ على تَفتُّت المنطقة العربية.

الهدف الخماس: طمأنينة العالم المسيحي على الأماكن المقدسة في فلسطين طالما أنها بعيدة عن سيطرة العرب، وتحت تصرف اليهود الذين سيؤمنون حماية واسعة وصادقة وذلك بتشويه صورة تلك الأماكن تحت حكم المسلمين وجعلهم من المنتهكين لحرماتها.

الهدف السادس:هو إقامة دولة إسرائيل في فلسطين وتقوية هذه الدولة حتى يتمكن لها التوسع في المستقبل لتصبح دولة إسرائيل الكبرى،وقد استطاع اليهود أن يقيموا دولة إسرائيل

، والزيادة من قوتها للانطلاق في التوسع وتحقيق أهدافهم في السيطرة على الشعوب، ويرجع ذلك إلى اعتماد المنظمة الصهيونية على مبدأ التخصص في أعمالها، فأسست الهيئات والمكاتب واللجان والفروع المتخصصة ووظفت بكل هيئة مجموعة من العاملين وأعطت كل فرد من أفرادها عملاً حسب تخصصه ، وبهذا أطمأنت إلى أن أعمال جميع برامجها ستتم بنجاح ودون تعطيل أو تأخير من أي جهة مهما كانت، وحتى لو كانت لدى جهات خارجية قادرة على التأثير سلباً فإنها تتولى بطرقها المشروعة وغير المشروعة تسهيل وتسليك جميع العقبات والعوائق.

الهدف السابع : ستقوم الحركة الصهيونية بتجنيد يهود الغرب المعروفين بثرائهم ليدعموا هذا المشروع الغربي دون أن تطالبهم بالهجرة، مع ضمان تحقيق وحدة الشعب اليهودي سواء استمر في الحياة في نيويورك أم حيفا وتأكيد على مركزية إسرائيل في حياته.

الهدف الثامن: الحفاظ على هوية الشعب اليهودي من خلال تشجيع التربية اليهودية والعبرية والقيم الروحية والثقافية اليهودية سواء في إسرائيل أو في الولايات المتحدة وحماية الحقوق اليهودية أينما كانت.

الأهداف المستقبلية للحركة الصهيونية:

1- تدعيم الاقتصاد الصهيوني بإنشاء المصانع الضخمة المتعددة الأغراض.
2- التوسع والامتداد على حساب الدول العربية المجاورة في جميع المجالات.
3- تفريغ فلسطين من العرب بشكل كامل.
4- السيطرة على العالم ككل وجعل أبناء صهيون سادة العالم.
5- تركيع وإذلال أي محاولة تخرج للقضاء على الصهاينة ومخططاتهم.
6- التحكم في مجريات الأحداث في حياة الناس اليومية.
7- التحكم في السياسة الأمريكية لتثبيت مصالحهم .

النكبات العربية ودور الصهيونية فيها

1- نكبة زوال الخلافة العثمانية.

2- نكبة إعطاء وعد بلفور.

3- نكبة تقسيم دول الاستعمار لشمال إفريقيا ووسط السودان.

4- نكبة قيام دولة إسرائيل عام 1948م.

5- العدوان الثلاثي لعام 1956م.

6- نكبة فقد الكرامة العربية 1967م.

7- نكبة اجتياح إسرائيل لجنوب لبنان لعام 1982م.

8- نكبة توقيع معاهدات السلام مع اليهود وتتابع الدول العربية على ذلك.

ثيودور هرتزل: حياته (1860-1904) وقد خرجت كل الاتجاهات الصهيونية من تحت عباءته أو من ثنايا خطابه المراوغ .والواقع أن شخصية هرتزل تجعله في وضع مثالي يؤهله لأن يكون جسراً موصلاً بين العالم الغربي والجماعات اليهودية فيه، فهو يهودي غربي مندمج لم يبق من يهوديته سوى قشرة، أي أنه يهودي غير يهودي. ومع هذا، فهو يصنف على أنه يهودي، ولذا فهو يملك أن يتحدث للغرب باعتباره غربيًا وأن يتحدث ليهود باعتباره يهودياً. فسطحية انتمائه هو ما جعل منه جسراً مثالياً ومعبراً مريحاً .وُلد تيودور هرتزل عام 1860 لأب تاجر ثري. وكان يحمل ثلاثة أسماء، أهمها اسمه الألماني تيودور»، وثانيها اسمه العبري «بنيامين زئيف»، وثالثها اسمه المجري «تيفا دارا». والتحق تيودور الصغير بمدرسة يهودية وعمره ست سنوات لمدة أربعة أعوام انقطعت بعدها علاقته بالتعليم اليهودي. ولذا، لم يُقدَّر له أن يَدرُس العبرية، بل لم يكن يعرف الأبجدية نفسها . والتحق بعد ذلك بمدرسة ثانوية فنية، ومنها التحق بالكلية الإنجيلية 1876 وعمره 15 سنة (أي أنه التحق بمدرسة مسيحية وتستانتية، ولعله تَلَقَّى تعليماً دينياً مسيحياً هناك)، وأنهى دراسته عام 1878. التحق هرتزل بجامعة فيينا وحصل على دكتوراه في القانون الروماني عام 1884 وعمل بالمحاماة لمدة عام، ولكنه فضل أن يكرس حياته للأدب والتأليف. وأُرسل

إلى باريس للعمل مراسلاً للصحيفة هناك (حتى عام 1895) حينما عُيِّن رئيساً لتحرير القسم الأدبي في الصحيفة وبقى في عمله حتى وفاته .وهنا قد يكون من المفيد التوقف قليلاً للتحدث عن هوية هرتزل التي كانت تقف بين عدة انتماءات دينية إثنية متنوعة (ألمانية . مجرية . يهودية . بل مسيحية) دون أن ينتمي لأيٍّ منها أو يُستوعَب فيها. أما من الناحية الثقافية، فإن هرتزل كان ابن عصره، يجيد الألمانية والمجرية والإنجليزية والفرنسية. وكان هرتزل لا يعرف العبرية، وقد تساءل علناً وبسخرية (في مؤتمر الصهيوني الثالث [1899]) عما يُسمَّى «الثقافة اليهودية». وحينما قرَّر مجاملة حاخامات مدينة بازل، اضطر إلى تأدية الصلاة في كنيس المدينة قبيل افتتاح المؤتمر الصهيوني الأول (1897)، كما اضطر إلى تعلُّم بضع كلمات عبرية لتأدية الصلاة. وكان المجهود الذي بذله في تعلُّمها أكبر من المجهود الذي بذله في إدارة جلسات المؤتمر بأسرها (حسب قوله). ولعل هامشية الانتماء الحضاري هذا يفسر جانباً آخر من شخصية هرتزل وهو ذكاؤه الحاد ويطرح السؤال نفسه: كيف تتمكن شخصية هامشية سطحية (رغم كل ذكائها)، شخصية لم يكن عندها مصادر مالية، تقف ضدها كل المؤسسات الدينية والمالية اليهودية ولم يكن لديها تنظيم، أن تفرض نفسها بهذا الشكل؟ وما بين ربيع عام 1895 وشتائه، اختمرت فكرة الدولة اليهودية في عقل هرتزل، ثم قرَّر أن يسجل أفكاره في كتيب ففعل ذلك في خمسة أيام ونشر موجزاً في جويش كرونيكل ثم نشرها في 14 فبراير 1896 بعنوان دولة اليهود: محاولة لحل عصري للمسألة اليهودية. وقد ألَّف هرتزل الكتيب بالألمانية ونشر منه بين عامي 1896 و1904 خمس طبعات بالألمانية وثلاثاً بالروسية وطبعتين بكلٍّ من العبرية واليديشية والفرنسية والرومانية والبلغارية. وقد أصر هرتزل على أن يضع لقبه العلمي (دكتوراه في القانون) بجوار اسمه)ليؤكد حداثة حله). والكراسة مكونة من 30 ألف كلمة (وتقع في 65 صفحة في طبعتها الأصلية) وأسلوبها واضح بسيط لا يتسم بأي عمق أو تفلسُف. وقد وصف هرتزل كتابه بأنه ليس حلاً وحسب، وإنما هو "الحل الوحيد الممكن". وطالب بألا يُنظَر إليه على أنه فهو مشروع محدد قوته الدافعة هي مأساة اليهود الذين يُعامَلون كغرباء، أي أنه من البداية حدَّد

مجال اهتمامه فهو ليس إيجابياً (هوية التراث اليهودي) وإنما سلبي اضطهادهم). والواقع أن سيرة هرتزل بعد ذلك التاريخ هي سيرة الحركة الصهيونية التي كانت تدور حوله بالدرجة الأولى .وقد اختفى نسل هرتزل نهائياً، فكبرى بناته بولين (1890 . 1930) كانت مختلة عقلياً وطُلِّقت من زوجها وأصبحت صائدة للرجال ومدمنة للمخدرات. أما أخوها هانز (1891 . 1930) الذي لم يختن طيلة حياته، مخالفة للتعاليم اليهودية، فقد أصيب بخلل نفسي واكتئاب شديد ثم تَحوَّل إلى المسيحية وانتحر يوم وفاة أخته. أما الابنة الصغرى، فقد ترددت على كثير من المصحات حتى ماتت عام 1936. وقد نشأ ابنها . وحفيد هرتزل الوحيد . في إنجلترا حيث غيَّر اسمه من نيومان (اسم ذو نكهة يهودية) إلى نورمان (اسم ذو نكهة أنجلو ساكسونية(، وكان يعمل ضابطاً في الجيش الإنجليزي. وبعد أن ترك الخدمة عُيِّن مستشاراً اقتصادياً للبعثة البريطانية في واشنطن حيث انتحر بأن ألقى بنفسه من على كوبري في النهر.

أفكار هرتزل

تميزت أفكار هرتز بأنها ا لا تخضع إلى التسلسل المنطقي أو الوضوح أو التماسك، فهو ينتقل من نقطة إلى أخرى ثم يعود إليها، ولا يتعمق في أيٍّ من النقاط التي يطرحها. ولذا فيمكنه أن يطرح حلاًّ للمسألة اليهودية بكل جرأة دون إدراك لتضميناته الفلسفية والعملية .

1. الشعب المنبوذ

يذهب هرتزل إلى أن معاداة اليهود أساسية في الحضارة الغربية لا مجال للتخلص منها، ، ولذا فهو يقابل الظاهرة بكثير من الهدوء والتجرد ويحاول تفسيرها على النحو التالي :أ) أساس تاريخي اجتماعي .تَطوَّر اليهود داخل المجتمع الغربي وأصبحوا جزءاً من الطبقة الوسطى المسيحية التي لن تتردد في أن تلقي بهم للاشتراكية، فاليهود قوة مالية مستقلة ونفوذ اقتصادي رهيب .ولذا، فإن الشعوب المسيحية تدفع عن نفسها هذه السيطرة " ب) أساس

عرْقي كان هرتزل يرى أحياناً أن اليهود عرْق مستقل، ولذا فقد تحدَّث عن أنوفهم المعقوفة المشوهة وعيونهم الماكرة المراوغة. وكثيراً ما تحدَّث عنهم من خلال الأنماط العرْقية التقليدية الشائعة في أدبيات اليهود .جـ)أساس إثني ثقافي

كان هرتزل ينظر لليهودي متسلق اجتماعياً وتاجر في البورصة وشخص يعقد زيجات من أجل المنفعة والمصلحة المالية. واليهود شخصيات كريهة خارجية طفيلية تشكل خطراً على القوميات العضوية في أوربا. بمعنى انه راى حتمية خروج الجسم الغريب (اليهود) من الكيان العضوي الأكبر) الحضارة الغربية) واختفائه تماماً، فالخروج هو "الحل النهائي

2. نَفْع اليهود والحل الإمبريالي

إذا كان اليهود شعباً عضوياً منبوذاً، فإن أوربا منذ عصر النهضة اكتشفت نَفْع اليهود وإمكانية حوسلتهم لصالح الحضارة الغربية، وهذا ما يفعله هرتزل في دولة اليهود. فهو أيضاً يكتشف إمكانية نفع اليهود وتوظيفهم لصالح أي راع إمبريالي يقوم بوضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ .

وبعد أن أكد هرتزل للدول الغربية أن نَقْل الشعب العضوي المنبوذ هو الحل المطروح، فإنه يبين لهم منافع الحل الصهيوني المطروح. فبالنسبة للدولة الراعية، ستكون الهجرة هجرة فقراء وحسب، ولذا فإنها لن تؤثر على اقتصادها .كما أن الخروج سيتم تدريجياً، دون أي تعكير، وستستمر الهجرة من ذلك البلد حسب رغبة ذلك البلد في التخلص من اليهود. كما أنه يذكر بشيء من التفصيل الثمن الذي سيدفعه اليهود (الدور الذي سيلعبونه والوظيفة التي سيؤدونها) كما"يجب ألا يأخذ الخروج شكل هروب أو تسلُّل، وإنما يجب أن يتم بمراقبة الرأي العام الغربي. هذا ويجب أن تتم الهجرة وفقاً للقوانين وبمعاونة صادقة من الحكومات المعنية التي يجب أن تضمن وجودنا لأن اليهود لا يمكنهم أن يفعلوا ذلك وبهذا، يكون هرتزل قد قدَّم الحل: دولة يهودية ذات سيادة تُؤسِّس خارج أوربا، مصدر سيادتها هو العالم الغربي، أي أنه سيحقق السيادة من خلال العمالة للقوى العظمى الغربية صاحبة القرار في العالم في ذلك الوقت. وهو بذلك قد توصَّل للآلية الكبرى لتنفيذ المشروع الصهيوني وهي الإمبريالية،

3. الفئة التي وجه لها الحركة الصهيونية

لعل أهمية هرتزل في تاريخ الصهيونية هي أنه حوَّل الصهيونية من مجرد فكرة إلى حركة ومنظمة، الا انه تعثَّر هرتزل طويلاً قبل أن يصل إلى هذه الصيغة الصحيحة لتأسيس. وبرغم عصرية وحداثته افكاره إلا أن بصيرته خانته، إذ بدأ نشاطه السياسي بطريقة تقليدية فتوجَّه للقيادات اليهودية التقليدية (الحاخامات والأثرياء) أصحاب النفوذ التقليدي الذين نظروا إليه بنوع من الفتور أو الاشمئزاز

4.تطوير الحركـة الصهيونيـة

طوَّر هرتزل الخطاب الصهيوني المراوغ الذي جعل بالإمكان وضع صياغة العقد بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية بشأن يهود العالم. وأصبحت كل الأطراف جاهزة للتوقيع. ولكن الاستعمار الغربي لا يتعامل مع أفراد، وإنما مع مؤسسات تمثل المادة البشرية المُستهدَفة، أي يجب أن يكون هناك هيكل تنظيمي يمكن توقيع العقد معه. وقد اقترح هرتزل في دولة اليهود إنشاء مؤسستين: جمعية اليهود والشركة اليهودية

أ) جمعية اليهود: وهي القوة الخالقة للدولة في نَظَر القانون الدولي تضطلع بمسئولية الشئون القومية، وتتعامل مع الحكومات وتحصل على موافقتهم على فَرْض السيادة اليهودية على قطعة أرض تدير المنطقة كحكومة مؤقتة .

ب) الشركة اليهودية: وتقوم بتصفية الأعمال التجارية لليهود المغادرين والعمل على تنظيم التجارة الأعمال المتعلقة بها في البلد الجديد.